مجلة الجامعة الأسمرية : العلوم الشرعية والإنسانية
المجلد (32) العدد الثاني (ديسمبر 2019)

إسهام الدراسات الأجنبية في تحقيق التراث المغربي

الغالي بنهشوم

جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب

Email: lghaliamine2008@yahoo.fr

الملخص

هدف البحث إلى الكشف عن جهود المستشرقين في مجالات الترجمة والنشر والتحقيق والدراسة والنشر والفهرسة والجمع والتعريف والنساخة، واستخدم لتحقيق أهدافه المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن، ومن نتائجه أن فضل السبق كان للجهود التي بذلها المستشرقون للتعريف بثقافة المغرب ونظمه السياسية، والاجتماعية، والدينية، وإخراجها من براثن النسيان؛ من خلال ما قاموا به من جمع للمخطوطات من المكتبات الخاصة والعامة، والتعريف بأماكن وجودها، وترجمتها ونقلها إلى اللغة الفرنسية والإسبانية والإنجليزية والألمانية؛ والعمل على صيانتها وفهرستها فهرسة علمية؛ وكذلك تحقيق الكثير من المخطوطات، وتذييلها بالفهارس المختلفة؛ ونشرها؛ والعمل على نسخ الكثير، وإنجاز مجموعة من الدراسات القيمة التي توجهت بالخصوص إلى كل ما له علاقة بالثقافة المغربية في جل موضوعاتها مع التركيز على الجانب التاريخي والصوفي واللغوي والجغرافي والأنتروبولوجي.

الكلمات المفتاحية: التراث المغربي، التراث العربي، الدراسات الأجنبية، الفهرسة والتوثيق.

المقدمة

إذا كان فضل السبق المنهجي يعود إلى ما صنفه العرب القدامى في مجال التحقيق والفهرسة والتوثيق، فإنه من الواجب الإقرار بحقيقة جلية للعيان

ISSN: 2706-9524 (Print) **ISSN**: 2706-9532 (Online)

تؤكد بأن المستشرقين في القرون الأخيرة (15-19م)، كانوا سباقين لممارسة هذا الفن التأليفي؛ حيث صنفوا في ذلك ما صنفوا في اللغة العربية واللغة الغربية على السواء؛ فقد نشر جاك بيرك (الأدب المغربي والمشرقي)، وألف أدولف فور(التشوف إلى رجال التصوف) لابن الزيات، ونشر بوفا لوسيان (الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصا) للناصري، وحقق لفي بروفنسيال ودي كاستري، مؤلف (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب) لابن عذاري. ثم تناسلت المصنفات في العلوم المختلفة، وبذلك عرفت حركة التأليف نشاطا واسعا انصبت في خدمة التراث العربي الأصيل سعيا لإخراجه إلى حيز الوجود بعدما ظل ردحا من الزمن سجين المكتبات العامة والخاصة، ومن هذا المنطلق يمكن التأكيد على الخدمات الجُلّى التي أسداها المستشرقون للتراث المغربي من خلال محافظتهم على المخطوطات من الضياع والتلف؛ عندما راموا جمعها، ونسخها، وتوثيقها -بالطرق العلمية المتعارف عليها- وفهرستها، توخيا لدراستها وتحقيقها ونشرها، وإعداد دراسات قيمة بخصوصها، فضلا عن ترجمتهم للعشرات من المصنفات في جميع العلوم، إسهاما منهم في إرساء نهضة فكرية أدبية وعلمية وثقافية كبيرة.

تروم هذه المداخلة الكشف عن جهود المستشرقين في المجالات الآتية:

1) مجال الترجمة والنشر؛
2) مجال التحقيق؛
3) مجال الدراسة والنشر؛
4) مجال الفهرسة والجمع والتعريف والنساخة.

ولا شك أن مقاربة هذه المستويات يقتضي التوسل بمنهج يعتمد على الوصف والتحليل والمقارنة والتأويل، مستفيدا من معطيات المنهج المقارن في مقاربته للظواهر المتعددة؛ اعتمادا على مجموعة من الخطوات بغية الوصول إلى نتائج علمية دقيقة.

1) الترجمة والنشر:

لم يقتصر عمل المستشرقين على عملية جمع المخطوطات وتوثيقها، وفهرستها، بل تعدوا ذلك إلى ترجمتها وتحقيقها ونشرها، ومن هذا المنطلق أسهمت المدرسة الاستشراقية عامة والفرنسية على وجه الخصوص في نقل الإبداع الأدبي العربي نحو أوربا خصوصا بعد تولي المستشرق المشهور سلفستر دي ساسي إدارة مدرسة اللغات الشرقية الحية ابتداء من سنة 1795م، وقد أسعف المدرسة الفرنسية تمكن روادها من اللغة العربية وإتقانهم لها؛ ولذلك جعلوا من الترجمة الغرض الأساس من نشر التراث؛ فالفهرسة والنشر والتحقيق كلها أعمال كانت تسبق الترجمة التي لا شك أنها كانت تغذي المثقفين والقراء الفرنسيين، وتطلعهم على التراث العربي عامة والتراث المغربي على الخصوص، فهي فعل إبداعي، ونشاط لغوي، وضرورة حضارية، وموقف أيديولوجي، تؤطرها كلها طبيعة العلاقات المتبادلة بين مجتمعي النص: المترجم منه والمترجم إليه في لحظة تاريخية معينة[1].

يبدو أن اهتمام المستشرقين بالأدب العربي يعود إلى القرون الوسطى، زمن الحروب الصليبية حين بدأت حركة الترجمة على يد جيرار الكرموني (ت 1187م) الذي ترجم كثيرا من أمهات الكتب العربية إلى اللغات الأوروبية، ويمكن القول إن الكتب التي ظهرت في فرنسا تتحدث عن الشرق والغرب الإسلامي قبل القرن التاسع عشر قليلة إذا ما قيست بغيرها من الدول الأوروبية كإسبانيا مثلا، ففي القرن السابع عشر صدر سبعة وعشرون كتابا، وفي بداية القرن الثامن عشر أربعة وثمانون كتابا، وبعد ذلك زاد اهتمام الفرنسيين بالشرق بعد ترجمة (جالان) عن ألف ليلة وليلة، بحيث زادت الكتب عن ستمائة كتاب[2]، غير أن المستشرقين الفرنسيين في العقود الأخيرة اتجهوا نحو الغرب الإسلامي

[1] الترجمة في الفكر النهضوي العربي، عبد اللطيف عبيد، مجلة كلية الألسن للترجمة عدد 5، جامعة عين شمس، 2004، ص: 74.

[2] مقدمة في دراسة جهود من العربية إلى الفرنسية، ضياء خضر، مجلة الاستشراق، العدد الرابع، بغداد: دار الشئون الثقافية، 1990، ص: 136.

لترجمة المخطوطات المغربية –على وجه الخصوص– واعتنوا بها أكثر من عنايتهم بتحقيق نصوصها "تاركين للمحققين العرب أن يصولوا ويجولوا في ميدانهم الأصيل؛ إذ إن ميدان المستشرقين الأكثر أصالة هو الترجمة بلا شك"[1]. فهم" لا يزالون يتفوقون علينا في مجال ترجمة هذه المخطوطات إلى لغتهم الفرنسية، وسيظلون متفوقين في هذا الجانب دائما، وهذا أمر طبعي وقانون أساسي من قوانين علم الترجمة من لغة إلى أخرى"[2]. يطالعنا في هذا الباب العشرات من المؤلفات التي شكلت مصدرا أساسيا للترجمة والنشر في مختلف الأجناس الأدبية؛ سواء منها التاريخية أو الدينية/الصوفية، أو اللغوية أو غيرها نذكر بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر[3]:

- يعتبر بروفنسال من أهم المستشرقين الفرنسيين وأكثرهم اهتماما بتحقيق نصوص التراث المغربي المخطوط وترجمتها ونشرها، وخاصة المتعلق منه بتاريخ المغرب والأندلس، ولد بالجزائر وبها درس اللغة العربية، عين أستاذا في معهد الدراسات العليا المغربية في الرباط سنة 1919 ثم مديرا له سنة 1926، ومن أهم أعماله في مجال الترجمة: ترجمته لـ "كتاب أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين" لأبي بكر الصنهاجي المكناسي البيدق، وقد اعتنى بإخراجه من الخزانة الأسكريالية وتصحيحه ونشره سنة 1928. قال بروفنسال في هذا الإطار: "..ولم يمض سوى قليل حتى ظهرت –لحسن الحظ– وثائق جديدة معاصرة للعهد الموحدي فمنها "كتاب أخبار المهدي" لصاحبه البيدق الذي عثرنا عليه في مكتبة الأسكوريال بإسبانيا ونشرناه وترجمناه إلى اللغة الفرنسية، ومنها جزء من كتاب ((نظم الجمان)) لابن القطان، مشتمل على تأريخ ابتداء الموحدين

[1] تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، محمود المقداد، سلسلة عالم المعرفة، عدد 167، 1992، ص: 83. تحقيق التراث المغربي الأندلسي، محمد قاسمي، ص: 292.

[2] الحماية الفرنسية في المغرب، الحسن الوزاني، جريدة الوحدة المغربية 8-2-1937.

[3] يضيق بنا المقام لو قمنا بسرد مجموعة من الأعمال المترجمة والمنشورة، ولذلك اكتفينا بالمؤلفات الأكثر تداولا وشهرة.

وسيطبع قريبا، ومنها سلسلة الوثائق المؤمنية التي نقدمها اليوم إلى الجمهور المثقف وبالخصوص إلى غواة ماضي المغرب التأريخ الأدبي"[1].

- ترجمته الجزء الأول من كتاب: "مفاخر البربر" وهو لمؤلف مجهول، ضمن منشورات معهد العلوم العليا المغربية، الرباط 1934.
- ترجمة "جورج كولان" لكتاب عبد الحق البادسي "المقصد الشريف في التعريف بصلحاء الريف" سنة 1926. ونشره ضمن سلسلة الأرشيفات المغربية التي كانت تصدرها إدارة شؤون الأهالي، ومصلحة المخابرات (شعبة السوسيولوجيا). قدم المترجم معطيات جغرافية، وتاريخية، واقتصادية، واجتماعية حول منطقة الريف[2].
- ترجمة كتاب "المنظومة في التوحيد "لأبي العباس الجشتيمي، من طرف المستشرقان سترومر وبوكر (Strommer et Boogert) سنة1992 إلى اللغة الإنجليزية، معضدة بالتعليقات، كما ترجم نفس المستشرقين قصيدة "هدية العاشق في مولد سيد الخلائق" لمحمد أمغار الحاحي الجديدي، نشرت باللغة الإنجليزية سنة 1933.
- ترجمة المستشرق سوفير: Sauvaire (1849–1896م)، لبعض الأجزاء من كتاب "صبح الأعشى للقلقشندى" لأبي العباس القلقشندي (ت821 هـ)[3].
- حظي كتاب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" لأبي العباس المقري باهتمام بالغ إذ تعاور على ترجمة بعض من أجزائه إلى اللغة الإنجليزية كل من ديجا Dugat (1824–1894)، وباسكوال دي جايانجوس (1809–1897). تولى هذا الأخير تدريس اللغة العربية بجامعة مدريد، ونشر ترجمة المؤلف في مجلدين كبيرين بعنوان " تاريخ

[1] مجموع رسائل موحدية من إنشاء الدولة المؤمنية، اعتنى بإصدارها ونشرها بروفنصال، المقدمة. ص: (ب).

[2] ينظر في الموضوع: عن التراث المتداخل اللغات بالغرب الإسلامي: محمد المدلاوي كلية الآداب وجدة، ص: 318.

[3] المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، ط 4، مصر 1980، ص: 207.

الأسر الحاكمة في إسبانيا". سنة (1840–1843) بلندن، كما ترجم ونشر تنبيه الغافل وذكرى العاقل للأمير عبد القادر الجزائري (ت 1883م) في العام 1850م[1].

- أدموند فابيان: (1846–1931م) خريج مدرسة اللغات الشرقية، ترجم الكثير من الأعمال إلى اللغة الفرنسية منها: "رسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه المالكي" سنة 1912م؛ والأحكام السلطانية للمارودي (ت 525 هـ) سنة 1915م؛ و"تاريخ المغرب" لابن عذارى المراكشي عام 1904م؛ و"المعجب في تلخيص أخبار المغرب" لعبد الواحد المراكشي في العام 1893م؛ و"تاريخ الموحدين وبني حفص" للزركشي في العام 1895م[2].
- ترجمة ونشر (المقدمة) لابن خلدون، من طرف المستشرقين، دوسلان وكاترمير في ثلاثة مجلدات سنة 1872.
- ترجم ليفي بروفنسال مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك غرناطة، ونشرها ما بين سنتي 1936 و1940.

ونظرا لأهمية الخطاب الرحلي في الدراسات الغربية في إطار تهيئة أرضية للاستعمار –لما يوفره من معلومات جغرافية وتاريخية واقتصادية واجتماعية وأنطروبولجية– حظي باهتمام المستشرقين الفرنسيين والإنجليز والألمان والإسبان على السواء؛ إذ واكبت حركية التأليف حركة مماثلة على مستوى الترجمة نذكر في هذا الجانب ترجمة "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي، من طرف جوبير Jaubert، ونشرها بين سنة 1836 و1840م. كما ترجم تشارلز دفرمري: Charles Dèfremè (1822–1883م) وسانغنيتي رحلة ابن بطوطة في آسيا الصغرى والوسطى سنة 1858م، وقد نشرَا الرِّحلة في أربعة مجلدات باللغة العَربية، مَصْحوبة بالتّرجمة الفَرنسية لها، وبعدهما يَرجع الفَضل لمُستشرق

[1] المستشرقون، العقيقي، ج1، ص: 204.

[2] العقيقي، المستشرقون، ج1، ص:237، ومحمد عوني، مجلة الألسن، ص: 163.

ثالثٍ أسدى خدمة لهذا التراث، هو هَامِيلتُون كِيب (H.A.R. Gibb) الذي تَرْجم مُعْظم الرّحْلة إلى اللغة الإنْجليزية، وقد حاول في أعْماله شَرْح ما غَمَض من الألْفَاظ، وتحْديدَ عَددٍ من الأعْلام الجغرافية، والتعريفَ بعدد من الشّخصيات الوَاردة في الرِّحلة، وتُرجمت بَعد ذلك الرِّحلة –كامِلة أو أجْزاء منها– مرّات متكررة إلى لغات عديدة، منها الإسبانية والبرتغالية والروسية والسويدية والفارسية والتركية والهندية واليابانية؛ وبذلك، ذَاع صِيتها، وأصْبحت في مُتناول جميع القُرّاء[1].

- ترجمة رحلة ابن جبير أو (تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار) من طرف غودفروا–ديمومبين، Maurice Gaudefroy-Demombynes تم نشرها ما بين سنتي 1953 و1956.
- ترجمة دوسلان لرحلة "المسالك والممالك" للبكري، ونشرها بباريز سنة1857.
- ترجمة لوي سيديو لمخطوطة (جامع المبادئ والغايات في علم الميقات) لأبي علي المراكشي، في جزأين، ثم نشره في سنتي 1834–1835.
- نقل المستشرق الإيطالي جيرارد كريمونا (1114– 1187) Gérard De Crémona من العربية رسائل الكندي في العقل والمعقول وفي الجواهر الخمسة، والمستشرق الإنجليزي ميخائيل سكوت (1175 – 1236) Michael Scot الذي قام بترجمة مجموعة من المؤلفات التراثية مثل كتاب (الهيئة للبطروجي).
- ترجمة المستشرق الفرنسي لبرينييه لـ(الآجرومية في قواعد العربية) لمحمد داود الصنفاهي.
- اهتم المستشرق هوداس: Houdas (1840–1916م) بترجمة تاريخ المغرب والأندلس؛ إذ ترجم في هذا الإطار"نزهة الحادي بأخبار القرن

[1] ينظر: المستشرقون، العقيقي، ج1، ص: 200.

الحادي" لمحمد الصغير الإفراني (ت 1155هـ) سنة 1889م؛ وترجم "تاريخ افتتاح الأندلس" لابن القوطية (ت 367هـ).

- ترجم كتاب (الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى) إلى اللغة الفرنسية، ونشر على مراحل ضمن المجلدات المسماة الوثائق المغربية؛ حيث ترجم القسم الأول المستشرق Graulle سنة 1906، ثم ترجم المستشرق G.S Colin، القسم الثاني منه سنة 1923، وترجم المستشرق Fumey القسمين الخامس والأخير ما بين سنتي 1934 و1936، ثم ترجم الكتاب فيما بعد إلى اللغة الإنجليزية والإسبانية والإيطالية والبرتغالية.

كانت هذه بعض الأعمال المترجمة إلى اللغة الفرنسية والإسبانية والألمانية وهي –غيض من فيض– تترجم الاهتمام البالغ الذي أولاه المستشرقون للتراث المغربي في جل الأجناس الأدبية.

2) مجال التحقيق:

أشار الدكتور أحمد الشايب[1] إلى انعكاس التكوين الفيلولوجي على منهج المستشرقين في التحقيق، فقد حرصوا على إبراز النص المحقق إبرازا فيلولوجيا بالمعنى الضيق، وذلك بالتركيز على ضبطه لغويا ونحويا وعروضيا وتقديمه مادة للدارسين، بعد مقابلة النسخ بعضها ببعض، وتوثيق النص المحقق، وفهرسته، وإخراجه على الصورة التي أرادها له مؤلفه، والمؤلفات التي حققها المستشرقون كثيرة جدا، نورد بعضها على سبيل الإشارة والتمثيل تبعا لأهميتها منها:

- كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لابن عذاري، حُقق هذا الكتاب في فترات متباعدة، وعلى شكل قطع وأقسام متناثرة، وذلك راجع إلى الاكتشاف المتواصل لأجزائه، فقد حقق دوزي سنة 1884 الجزأين الأول والثاني، ثم حقق ليفي بروفنصال سنة 1930 الجزء الثالث ودبجه

[1] الدراسات الأدبية في المغرب، الأستاذ عبد الله كنون نموذجا، منشورات مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، ط 1، طنجة، 1991، ص: 269.

بمقدمة قصيرة بالعربية، شرح فيها مضمون الكتاب، وعرف بمؤلفه تعريفا قصيرا، ووصف المخطوط المعتمد، وقد اعتمد المحقق في قراءته للمتن على تخريجه بعض النصوص المستمدة من مصادر أخرى أو الواردة في كتب متأخرة، ثم أعاد كولان وبروفنصال تحقيق نشرة "دوزي" سنة 1948، ثم قسم ثالث من الكتاب حققه سنة 1963 المستشرق الإسباني"هويتي ميراندا" بمساعدة محمد بن تاويت وإبراهيم الكتاني، ثم حقق إحسان عباس قسما رابعا سنة 1987[1].

- "التشوف إلى رجال التصوف" لابن الزيات (617 هـ)[2] طبع سنة 1958، بتحقيق واعتناء أدلوف فور أستاذ بمعهد الأبحاث العليا المغربية، ضمن مطبوعات معهد الأبحاث العليا المغربية، وقد صدر هذا الكتاب بمقدمة، وسبعة أبواب لازمة، أكد فيها على أهمية الكتاب في التأريخ الديني وحركة التصوف بالمغرب الأقصى، كما أكد من جهة أخرى على أهمية أسماء الأعلام والأماكن الواردة فيه فترة دراسته تطور اللغة البربرية[3]، وقد ضم هذا الكتاب أزيد من سبعة وسبعين ومائتين (277) من رجالات العلم والولاية والكرامات والزهاد بالمغرب، وأهم ما يميز تحقيق فور عن أغلب تحقيقات المستشرقين الفرنسيين أنه جاء باللغة العربية مقدمة وتعليقات وحواشي وفهارس[4].
- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، لابن سماك العاملي، يعد هذا الكتاب من أغزر المصادر التاريخية التي رصدت بتفصيل مجريات الحياة السياسية للدولتين المرابطية والموحدية، وبعضا من تاريخ الدولة المرينية، اهتم بتحقيقه ونشره وفهرسته المستشرق علوش سنة 1963.

---

[1] المرجع نفسه.

[2] أعيد تحقيق ونشر الكتاب من طرف الدكتور أحمد التوفيق، 1997، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

[3] المرجع نفسه، ص: 267.

[4] ينظر في الموضوع: الدراسات الأدبية، ص: 267، تحقيق التراث المغربي الأندلسي، محمد قاسمي، ص: 520-522.

- يعتبر المستشرق الفرنسي (بروفنسال) من أكثر المستشرقين اشتغالا بالأدب المغربي ترجمة وتحقيقا ودراسة؛ إذ اشتهر بتحقيقه لمجموعة من المخطوطات[1] منها (تاريخ الموحدين في المغرب)، و(المخطوطات العربية في الرباط)، وكتاب (أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام) لابن الخطيب و(تاريخ إسبانيا المسلمة)، و(لمخطوطات العربية في الأسكوريال) وصفها بحسب مذكرات هارتفج دارنبور مع تنقيحها وتجديدها، و الجزء الثالث (علم الكلام، الجغرافيا، التاريخ)، وله أيضا مخطوطان جديدان لـ(روضة النسرين)لابن الأحمر، وحقق (مختارات من مؤرخي العرب في المغرب)، وحقق (مخطوطات جديدة من الذخيرة لابن بسام)، كما حقق مخطوط من مكتبة الخليفة الحكم الثاني (ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة)، (وثائق عربية غير منشورة في المغرب الإسلامي في العصر الوسيط)، و(جمهرة أنساب العرب) لابن حزم، و(وثائق عربية غير منشورة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الغرب المسلم في العصر الوسيط).

يتبدى من خلال سلسلة المؤلفات التي شكلت هدفا للتحقيق والترجمة، أن جلها تنتمي إلى المجال التاريخي، ولعل الاهتمام بتاريخ المغرب يمثل رغبة المستشرقين في معرفة تاريخ المغرب ويشمل تاريخ الشخصيات والنظم السياسية والاقتصادية والتشريعية؛ لذلك لا نستغرب إذا وجدنا أكثر من مستعرب (كولان–فوماي–بوفا–جرول) يهتمون بكتاب الاستقصا للناصري فينشرونه ويحققونه[2]، ويبدو أن جرمان عياش قد أفصح عن خفايا هذا الاهتمام البالغ بالقول "لا يخفى عليكم أيها الأصدقاء الأعزاء أن جل الكتب التي تعالج جانبا من جوانب تأريخ المغرب منذ أواخر القرن الماضي، هي تآليف لمؤرخين أجانب، ولهذه الحالة عواقب لا تحمد بالنسبة إلى صحة الصورة التي تفرضها هذه الكتب عن ماضي الشعب المغربي ونُظُمِه المختلفة، على أذهان الناس، إما من الخارج وأما داخل

[1] موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، ط 3، مصر، 1993، ص: 520–522.

[2] تحقيق التراث، محمد القاسمي، ص: 296

البلاد، وليس ذلك لأن الأجانب عاجزون عجزا مطلقا عن فهم الواقع المغربي، وإنما لأن هؤلاء الأجانب لم يُقبلوا غالبا على تاريخ المغرب بنية علمية خالصة، كان هذا الإقبال أيام التوسع الاستعماري، مما أثر في جميع مجهودات الاكتشاف الموجهة آنذاك من أوربا إلى القارات الأخرى، أما المؤرخون فلا يهتمون بنظم بلاد كالمغرب إلا للعثور على مواضع الضعف التي تمهد الطريق للاستيلاء عليه، ولا يهتمون بتاريخ البلاد، المعاصر منه أو القديم إلا لتبرير هذا الاستيلاء"[1]، وإذا كان هذا الأمر ينطبق على العديد من المصنفات الاستشراقية، فإنه وُجدت مصنفات أخرى مستقلة عن هذه الطروحات الاستعمارية؛ إذ ألفناها تهتم بدراسة جوانب هامة من الثقافة المغربية في مختلف جوانبها اللغوية والدينية والتاريخية والجغرافية والدينية والأنطروبولوجية، "وقد أفادونا نحن كذلك بما نشروا من آثارنا، ولولا عنايتهم بإحياء هذه الآثار لما انتهت إلينا تلك الدرر الثمينة التي فتحت أمامنا معرفة بلادنا في الماضي وبها وقفنا على درجة حضارتنا"[2].

3) مجال الدراسة والنشر

لم يقتصر المستعربون على تحقيق التراث المغربي وترجمته ونقله إلى اللغات الأجنبية (فرنسية–إنجليزية–ألمانية ... إلخ)، وإنما توجهوا صوب الدراسات الأدبية واللغوية قصد التعرف أكثر على البيئة المغربية وبنيتها الفكرية والاجتماعية الثقافية والأنطروبولوجية، وكان اتصال المستشرقين بالثقافة المغربية من خلال الإسهام في عملية التأليف والنشر في مختلف ألوانها وأجناسها، فضلا عن إلقاء مجموعة من المحاضرات العلمية بخصوصها زمن توليهم كرسي التدريس في المعاهد والمدارس المغربية.

تطالعنا في هذا الإطار مجموعة من الدراسات التأليفية العميقة التي تفسر الاطلاع الواسع لثقافتنا من طرف هؤلاء المستشرقين الذين تشربوا تراثنا منذ أن

[1] دراسات في تاريخ المغرب، جرمان عياش، ص: 321.

[2] أثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية، محمد كرد علي، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد السابع، 1927، ص: 455.

كانوا أطفالا صغارا يتواردون على المعاهد الفرنسية بالمغرب الشيء الذي مكنهم عن كثب من الاطلاع على ما أنتجته القرائح، والاستفادة مما تتيحه ثقافتنا من معارف علمية جمة، خصوصا وأن حركة الاستعراب بالمغرب قد ارتبطت بمؤسسات البحث العلمي التي أنشأتها الحماية الفرنسية ببلادنا، وعلى رأس هذه المؤسسات معهد الدراسات العليا المغربية الذي أسس سنة 1920، وقد حل هذا المعهد محل المدرسة العليا للغة العربية واللهجات البربرية التي أنشأها الجنيرال اليوطي سنة 1912، وقد قام المستشرقون –في ظل هذه المؤسسات كباحثين ومحققين ومترجمين ومؤلفين[1]– بجمع المخطوطات، وإنشاء الدراسات والمؤلفات في مختلف الحقول المعرفية.

ومن الدراسات الهامة التي تبرز جهود المستشرقين نذكر على سبيل التمثيل:

- دراسات جاك بيرك Jacques Berque (1910–1995م)، وهو من أهم المستشرقين الذين وجهوا عنايتهم بالمخطوطات المغربية وتحقيقها وإعداد دراسة مائزة بخصوصها منها: (دراسات في التاريخ الريفي المغربي) سنة 1938م، و(وثائق عن تاريخ المغرب الاجتماعي) سنة 1948م، و(النظم الاجتماعية في الأطلس الأعلى) سنة 1955م. و(البنى الاجتماعيّة في الأطلس الكبير). و(اليوسي مشاكل الثقافة المغربية خلال القرن السابع عشر)؛ ونظرا لكثرة دراساته حول المغرب والمشرق يكفي الوقوف عند إحدى هذه الدراسات لنتبين عمق الرؤية عند هذه الشخصية الفذة التي أتقنت اللغة العربية، بفضل مكوثه بالمغرب والجزائر أزيد من ثلاثة عقود.

في هذه الدراسة ركز الباحث على الأطر التي أثرت في شخصية اليوسي كالمجال الجغرافي والمجال القبلي، بما فيه من تحالفات وتنافرات، وعلائقه بالسلطة المركزية جذبا ودفعا حسب مقتضيات الزمان والمكان، مبينا

[1] ينظر: الدراسات الأدبية في المغرب، أحمد الشايب، ص: 261.

ضرورة التدين؛ لأنه يشبع حاجات اجتماعية وروحية، وضرورة الاقتصاد باعتباره أساسا للنزاع والتحالف والتقدم والتأخر، وهكذا تحدث عن بعض المسالك التي تكون صلة وصل بين نواحي المغرب، وبين المغرب وإفريقيا والشرق، وقد أدى تدهورها أو انقطاعها إلى انغلاق المغرب الأقصى عن نفسه. وحول المذهب الفلسفي لليوسي يقول جاك بيرك "هناك مجهود لفكر توحيدي، وهناك فكر متمرس بالرياضة الروحية وبالمهارة المنطقية، وهناك محاولة واعية كأنها احترافية من أجل اختزال المظاهر المتعددة للواقع إلى معنى شامل؛ إنه مذهب يتخفى في كساء الصور وفي بوح معتاد[1].

- دراسة كليفورد كيرتز Clifford Geertz، في كتابه (الإسلام الملاحظ)[2]، وفي هذه الدراسة قدم الباحث تصوراته حول أوضاع المغرب لعهد الحسن اليوسي، ثم أوضاعه بعده، ومكث سنة 1965-1966 في مدينة صفرو بالمغرب لدراسة مظاهر التدين والحياة الاجتماعية في إطار منهاجية الأناسة الوصفية والأناسة التأويلية. تأويل الرموز والاستعارات والأسماء والأفعال لاستخلاص معنى شامل، وهذا ما عبر عنه بقوله:" ما يمنح لدين ما مضمونه الخاص هو تجسده في صور واستعارات يستعملها معتنقوه لوصف الواقع"[3] . كما رصد الرجل تطور السلطة في المغرب ومكوناتها وعناصرها ووظائفها، ثم رصد الطائفية، ثم الشرفية مما أدى إلى عبادة الأولياء، وإلى تكون طوائف صوفية تحولت إلى زوايا كبرى نازعت الدولة الشرعية المركزية أحيانا كثيرة، وإلى دولة الشرفاء التي حكمت وتحكم إلى الآن.

---

[1] وجهات نظر حول الثقافة المغربية في القرن السابع عشر، محمد مفتاح، مقال ضمن كتاب الأدب المغربي إشكالات وتجليات، منشورات كلية الآداب، الرباط، 2006، ص: 168-169.

[2] Clifford Geertz, Islam observed religious development in Morocco and Indonesia; the university of Chicago press, 1968.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص: 2، وجهات نظر حول الثقافة المغربية في القرن السابع عشر، محمد مفتاح، ص: 171.

لم يقف طموح هذا المستشرق العاشق للثقافة المغربية عند هذا الحد؛ بل أعد دراسة أخرى بعنوان (المعرفة المحلية والمعرفة الشمولية) خصص الفصل الرابع منها لـ"المراكز والملوك والبركة: أفكار حول رمزيات السلطة" حيث تعرض في فقرة منه لمغرب الحسن الأول: حركة وطاقة، وأهم ما ركز عليه أن السلطان جامع بين ما هو ديني وسياسي جامع بين البركة والهيبة، وأن السلطان حاكم مطلق لا ترد أوامره ولا تعصى، إذ كل عصيان للملك عصيان لله، وأن السلطان حاضر في كل أصقاع المغرب؛ إذ عرشه على سرج فرسه[1].

- درسات ليفي بروفنسال القيمة في مجال التأريخ واللغات واللهجات والعقائد الدينية بالمغرب، منها أطروحة الدكتوراه التي نالها عن دراسته الشهيرة "مؤرخو الشرفاء: بحث في كتب التاريخ والسير في مراكش من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر"، سنة 1922م، والكتاب يؤرخ لدولة الأشراف (العلويين والسعديين)، ولأبرز أعلامها ومؤلفاتهم، وقد تَرجم هذا العمل إلى العربية الدكتور عبد القادر الخلادي سنة 1977، ثم أردف هذه الدراسة بأخرى وقف فيها عند لهجة مراكش، عنونها بـ"نصوص عربية من ورغة: لهجة جبالا (في شمال مراكش). بالإضافة إلى كل هذا فإن بروفنسال حرر العشرات من المقالات والدراسات المتعلقة بالتاريخ السياسي أو الأدبي أو الاجتماعي، أو الآثار والمؤلفات والنصوص والكتابات المنقوشة الخاصة بالمغرب أو الأندلس[2].
- دراسة شارل دوفوكو (التعرف على المغرب)، التي نشرت سنة1888م، ترجمها المختار بلعربي إلى اللغة العربية سنة 1999م، وتكشف هذه الدراسة/الرحلة الواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والديموغرافي الذي

---

1) Clifford Geertz; savoir local savoir global les lieux du savoir traduit de l'anglais par denise paulme P .U.F, France, 1986, pp: 153-182.

ينظر: وجهات نظر حول الثقافة المغربية، ص: 172.

2) ينظر: مقدمة مؤرخ الشرفاء، ص: 14.

عرفه المغرب في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين، وهي الفترة التي كان يمهد فيها المستعمر لاحتلال المغرب، وتعد هذه الدراسة وثيقة تاريخية استعلاماتية شكلت مادة دسمة للفرنسيين لمعرفة مغرب ما قبل الاستعمار، يقول سعيد بن سعيد العلوي: "وليس الباحث في حاجة إلى بذل جهد فكري عظيم ليتبين الأسباب الخفية التي كانت وراء هذه الرحلات الاستكشافية أو الاستعلامية؛ فأصحاب تلك الرحلات يشعرون القارئ بتلك البواعث أحيانا كثيرة، ومن شأن المهمة التي يقوم بها الرحالة أن تجعل من صاحبها مشاهدا ثاقب الملاحظة، ومن الملاحظات التي يدونها إفادات كثيرة في معرفة الأماكن وأنماط اللباس، وأنواع السلاح المتداول"[1]، وهي ملاحظات دقيقة تقدم خدمات جلّى لأصحاب الطموحات الاستعمارية.

لم تتناول الدراسات الاستعرابية المغرب في بداية الأمر إلا من حيث ارتباط تاريخه وأدبه بالأندلس أو المشرق؛ ومن هذا المنطلق انصب اهتمام بعضهم على الكتب التاريخية المغربية باعتبارها مصدرا مكملا لدراسة تاريخ الحضارة الإسلامية[2]، من هذه الكتب على سبيل "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لابن عذاري، ج 1-2 نشر دوزي ليدن 1884-1851، "مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية"، نشر ليفي بروفنسال الرباط 1941، و"جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس"، للجزنائي، تحقيق ألفرد بيل، الجزائر 1922، و"اختصار الأخبار بما كان بثغر سبتة من الآثار" نشر ليفي بروفنسال، هسبريس ج 1931/12.

إن تركيز المستشرقين دراساتهم على المجال التاريخي لا يمنع من وجود دراسات أخرى-على قلتها- قد خاضت في المجال الأدبي؛ إذ كانت المخطوطات المغربية اللغوية التي دارت حول النحو والبلاغة والعروض والمعاجم تمثل رغبة الفرنسيين في معرفة الأداة الحضارية الأولى التي انسكبت

[1] صورة المغرب في الاستشراق الفرنسي المعاصر، سعيد بنسعيد العلوي، ص: 104-105.

[2] ينظر: الدراسات الأدبية في المغرب، أحمد الشايب، ص: 261-260.

فيها أو منها الأفكار في مختلف نواحي المعرفة الإنسانية، وأعني بها اللغة العربية لأنها لسان الإسلام التي استعملها العرب والموالي (وهم السلمون من غير العرب) في مؤلفاتهم فكانت أداة التعبير عن آدابهم وعلومهم وفنونهم المختلفة[1]، وتطالعنا في هذا الجانب مجموعة من الدراسات الشعرية كالتي أنجزها المستشرق هنري بيرس (الشعر في فاس على عهد المرابطين والموحدين)، ودراسة كولان في الموضوع (شعراء المغرب في القرن الرابع عشر)، فضلا عن الدراسة القيمة التي أنجزها جاك بيرك بعنوان (الأدب المغربي والمشرقي)، والدراسة التي أنجزها برنار (أدب البربر)، دون أن نغفل الدراسات المتميزة لبروفنسال حول ماهية العمل الأدبي بالمغرب؛ حيث ألف سنة 1920 دراسة بعنوان "الأعمال الأدبية في المغرب". وأردفها بكتاب آخر سماه" الآداب والآثار المراكشية" نشره معهد الدراسات المغربية العليا (أسس 1931م).

ومما يثير الانتباه هو ذلك الاهتمام الكبير باللهجات المغربية المختلفة، وباللغة العربية في بداية الأمر، يقول الدكتور محمد قاسمي: "انصب اهتمامهم في بداية الأمر على دراسة اللغة العربية الفصحى للإفادة من نصوصها القديمة والحديثة معا، ثم أخذوا بعد ذلك يهتمون بدراسة اللهجات المختلفة لغايات وأهداف معينة، وأقاموا دراسات لغوية، ووضعوا معاجم للبربرية..". نذكر في هذا الجانب:

1) دراسة معجمية لـ(مارسه) حيث ألف معجما كبيرا جمع فيه اللهجات المغربية ونصوصها وأصواتها[2].
2) ألف بروفنسال دراسة مماثلة بعنوان" معجم تطبيقي لعربية القرن العشرين باللغتين العربية والفرنسية" نشرت بالمغرب سنة 1942م.
3) مفردات عربية في لغة البربر (لباسه.أ.).
4) دراسات في اللهجات البربرية لـ(رينه باسه).
5) التعابير اللغوية المستعملة في لهجات شمال إفريقيا لـ(بوسيه).

[1] تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، محمود المقداد، سلسلة عالم المعرفة، 1992، ص: 60.
[2] المستشرقون، العقيقي، 274/1.

6) كتابة مزدوجة في اللغة في أكادير (بوفا لوسيان).
7) لهجة البربر في المغرب (ديستان).
8) مختصر العربية المراكشية (لغودفروا)
9) لمعرفة الألفاظ العربية العامية في المغرب (ألبان) [1].

ومن الدراسات الهامة، منجز المستشرق ديل إيكلمان بعنوان (الإسلام في المغرب)، سنة 1976، ترجمة محمد أعفيف سنة 1989، سلط الباحث الضوء في هذه الدراسة على التأريخ للزاوية الدرقاوية الموجودة في غرب المغرب، حيث ركز على الأبعاد الأنثروبولوجية والسياسية والدينية والاجتماعية المرتبطة بها، مبرزا جوانب هامة من (الإسلام الشعبي)، المرتبط عضويا بالزوايا والطرق والأولياء والطقوس الدينية الضابطة لمعتقدات العامة، مميطا اللثام عن الدور السياسي الذي تلعبه الزوايا في تاريخ المغرب، كما أصدر الباحث كتاباً آخر سنة 1985 بعنوان "المعرفة والسلطة في المغرب صورة من حياة مثقف من البادية في القرن العشرين"، نقله من الإنجليزية إلى العربية محمد أعفيف سنة 2000م، والكتاب يروي تفاصيل يوميات قاضي أقام في البادية المغربية، انتهى من خلال عملية المعاينة إلى ضبط العلاقة بين المعرفة والسلطة، انطلاقا من مجموعة من المعطيات الثقافية والأخلاقية والدينية، وقد أسهمت هذه الدراسة في إثراء الدراسة المتعلقة بالتعليم الإسلامي/الأصيل، من خلال كشف دور المؤسسات التعليمية، والهيئة العلمية في عملية التأطير والتوجيه.

وإذا ما نظرنا فيما كتبه عن المغرب بعض رجال الإدارة الحمائية المسؤولون عن التعليم، مثل جورج هاردي Georges Hardy في مقالاته عن (الروح المغربية)، وبول مارتي Marty Paul في كتابه التقريري الشامل (مغرب الغد)، أو قرأنا بعضا من انطباعات الأدباء الروائيين أمثال بيير لوتي، والأخوين طارو..إذا ما تصفحنا هذه الكتابات المتنوعة في الأسلوب والمنتسبة إلى حقول معرفية مختلفة، وإلى أجناس أدبية مغايرة فإننا نجدها تشترك في تعيين صورة

[1] ينظر: تحقيق التراث المغربي الأندلسي، ص: 293.

المغرب، دولة ومجتمعا[1]، وتاريخا وجغرافية، وبنى إقتصادية واجتماعية وثقافية وحضارية.

4) مجال الفهرسة والجمع والتعريف والنساخة:

أ) الفهرسة:

أسهم المستشرقون بحفظ المخطوطات المغربية وصونها من التلف بكل الوسائل المتاحة لهم من خلال إقبالهم على اقتنائها والحرص على عدم التفريط بها. وفي هذا الإطار فطن هؤلاء المستشرقون إلى أهمية فهرسة المخطوطات المغربية في مكتباتهم الخاصة والعامة؛ للإفادة منها والرجوع إليها بأيسر تكلفة، مع تعرف أوصافها من خلال نبذة قصيرة عن كل مخطوطة في مثل هذه الفهارس التي يضعونها لها[2]، ومن جملة هذه الفهارس:

- ألف المستشرق جورج سالمون فهرسا لإحدى المخطوطات الخاصة بمدينة طنجة المغربية؛ نشره في مجلة (المحفوظات المراكشية) سنة 1905، في نفس الوقت وضع المستشرق ميار Mayard فهرسا للمخطوطات المغربية خاص بالمسجد الكبير بالمدينة ذاتها، نشرها في مجلة (العالم الإسلامي) العدد 35 عام 1917 سنتي 1917-1918. سماه بـ:
  «La Bibliothéque de la grande mosquée de Tanger in: R.M.M».
- حظيت خزانة الرباط التي أسست في عهد الحماية بالنصيب الأكبر من حيث التوثيق والفهرسة؛ حيث شهدت أول عملية فهرسة سنة 1920على يد المستشرق دوسينفال الذي عين محافظا للخزانة العامة، وكان له قصب السبق في وضع نظامها الأساسي وفهرسة مخطوطاتها، التي تزايد عددها

[1] المرجع نفسه، ص: 111.

[2] ينظر في الموضوع: تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، محمود المقداد، 61. تحقيق التراث المغربي، محمد القاسمي، ص: 290-292. مقدمة مؤرخ الشرفاء، ليفي بروفنسال، ص: 14.

بفضل الهبات المقدمة للخزانة من طرف: المجاهد ماء العينين، والفقيه الحاج المختار بن عبد الله، فضلا عن وثائق النادي الألماني بطنجة.

- وفي سنة 1921، عالج المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال، أزيد من 500 مخطوط في مختلف الأجناس الأدبية والعلمية والدينية والفنية، وقد دبج الباحث فهرسه بمقدمة "تاريخية عن المجموعة الخطية التي ينوي فهرستها ثم أنهاه بكشافات ثلاثة مرتبة ترتيبا ألفائيا أحدها خاص بالمؤلفين بالفرنسية وثانيها خاص بعناوين الكتب باللغة العربية وخصّص الثالث لمطابقة الأرقام الترتيبية في السجل العام لأرقام الكتب في الفهرس"[1]. وقد قام بنشر هذه الفهرسة في نفس السنة.
- فهرس المخطوطات العربية تخصص طب في مكتبة الرباط، تصنيف رينو، نشرته (الجمعية المغربية الفرنسية لتاريخ الطب) سنة 1923م.
- فهرس المخطوطات العربية المستجدة في المكتبة العامة للمحمية الفرنسية بمراكش، وضعه ريجيس بلاشير، نشرة مجلة (هسبريس) سنة 1929م.
- فهرس المعهد العلمي بالمغرب، من صنع بلوشي سنة 1909م.
- فهرس الكتب العربية في مكتبة جامع القرويين، الأول من إنجاز كليمان هيار سنة 1918م. والثاني: من صنع ألفر بيل بمساعدة عبد الحي الكتاني، مع العلم أن من أول قائمة لمخطوطات القرويين كانت سنة 1883م، نشرها روني باسه (René Basset) بعنـــــــــــوان:

"Les manuscrits de deux Bibliothèques de Fès" (Qarawiyyin et Rcif) Bulletin de correspondance africaine, 1883).

- فهارس مخطوطات الخزانة العامة، من صنع المستشرق علوش، سنة 1954م.

[1] فهرسة المخطوطات العربية في المغرب، أحمد شوقي بينبين، بحث تقدم به الباحث ضمن أعمال ندوة حول المخطوطات العربية، أقامتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالقاهرة، ينظر مجلة الفيصل العدد 316، ص: 107-120.

- فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط، القسم الأول، باريس 1921م.
- التقويم التاريخي لمطبوعة فاس، بمساعدة الأستاذ محمد بن شنب، الجزائر سنة 1922م.
- فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأسكريال، موصوفة حسب جذاذات هرتويج نبورج مع تنقيحها وترتيبها، ج3 المتعلق بالفقه والجغرافية والتاريخ، نشر بباريس سنة 1927م.

لقد نشطت حركة فهرسة المخطوطات العربية من طرف المستشرقين الفرنسيين سعيا للاستفادة من كنوزها خاصة وأنها كانت موجودة في متناولهم، وفي هذا الإطار رام المستشرقون "تشجيع الباحثين على خوض غمار تحقيقها ونشرها وترجمتها، لشعورهم بفائدة ما تحتوي عليه"[1]، بالإضافة إلى وجود دوافع خفية تتصل بخدمة أجندة المصالح الاستعمارية.

ب) الجمع:

اجتهد المستشرقون في جمع المخطوطات المغربية من مختلف المكتبات الخاصة والعامة التي تتوفر فيها، سواء أكان ذلك بطرق مشروعة أم غير مشروعة، سعيا لنشرها والتعريف بها في المظان المختلفة، ولعل نشاط حركة الاستعراب وارتباطها بمؤسسات البحث العلمي التي أنشأتها الحماية الفرنسية قد أسهم بشكل أو بآخر في نشر مجموع الدراسات التي تعرف بالمخطوطات النفيسة من أهم المجلات المتخصصة في هذا الباب نذكر:

- **المجلة الإفريقية:** (revue africaine)، التي تعد من أشهر المجلات المتخصصة في نشر المخطوطات المغاربية، أصدرتها "الجمعية التاريخية بالجزائر" سنة 1856.
- مجلة العالم الإسلامي: (la revue du monde musulman)، الصادرة بين سنتي 1909 وسنة 1926م. كانت تعنى بدراسة الشؤون المتعلقة

[1] تحقيق التراث، ص: 291.

بالحضارة العربية الإسلامية وتراثها ودينها الحنيف. وقد ركزت جهودها على شمال إفريقيا باعتبارها مستعمرات تابعة لها.

- **مجلة هسبريس:** أصدرها هنري باسي في باريس سنة 1920، تضم حصيلة البحوث الاستعرابية بالمغرب ومختلف البحوث المتعلقة بالعلوم الإنسانية[1].
- **مجلة الدراسات الإسلامية:** (La Revue des Etudes lslamiques) ، صدرت سنة 1927 بباريس، تحت إشراف المستشرق لويس ماسينيون، بمعية معهد الدراسات الإسلامية بباريس مرة كل ثلاثة أشهر، وكانت تعنى بكل الإبداعات العربية والمغاربية. و"كانت تنشر في العدد الأخير من كل سنة ثبتا بالمصنفات الإسلامية لجميع المراجع، ومختصرا لمحاضرات أساتذة الاستشراق في باريس طوال العام، على أسلوب منظم شامل يحيط بالنواحي التاريخية و الجغرافية في الإسلام إحاطة واسعة"[2].
- **مجلة أرابيكا** (arabica)، أنشأها ليفي بروفنسال بباريس سنة 1956. وتولاها فيما بعد بلاشير، وهي مجلة متخصصة في نشر الدراسات العربية، وبكل ما له علاقة بتأثير الثقافة العربية في نظيرتها الغربية ولاسيما الفرنسية.
- كراسات الدراسات العربية والإسلامية: صدر أول عدد منها سنة 1976 بعنوان "وحدة التعليم والبحث في لغات الهند والشرق وشمال إفريقيا وحضارتها".
- دار هاراشوفتش في فيسبادن بألمانيا، تصدر كل شهر، تقدم وصفا لما يصدر من الكتب والمخطوطات في مصر ولبنان وسوريا والهند والمغرب الأقصى.

[1] ينظر: الدراسات الأدبية، أحمد الشايب، ص: 260-262.

[2] المستشرقون، نجيب العقيقي، ص: 150/6.

اتسعت المجلات المتخصصة في نشر التراث المغربي والتعريف به وبنفائسه بظهور مجلات أخرى ومؤسسات وجمعيات ومعاهد متخصصة[1] منها:

* المحفوظات المغربية؛
* محفوظات البربر؛
* مجلة المغرب–المشرق؛
* المستشرق؛
* إفريقيا الفرنسية؛
* الرابطة الفرنسية للمستعمرين؛
* معهد الدراسات الشرقية.

وكانت أنشطة المستشرقين في هذه المعاهد والجمعيات –التي اتخذت من المجلات منابر إعلامية لنشر تراثنا– كثيرة؛ فقد كانوا يعملون كمحققين وباحثين ومحاضرين.

كما اهتم المستشرقون منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي بجمع مخطوطات الأدب الأمازيغي المدوّن بالخط العربي ونشره؛ فكان منهم ألمان مثل ستيم (Stumme)، وفرنسيون مثل: جيستنارد (Justinard)، وباسي (Basset)[2]. فضلا عن الأدب الشعبي العربي المهتم باللهجات المتداولة.

لم يقتصر المستشرقون على المجلات في نشر المخطوطات العربية وبيان مواقعها ومجالاتها، وإنما ألفوا مصنفات عدة أماطت اللثام عن الذخائر الدفينة، ويكفي أن نشير إلى بعض الدراسات التي اهتمت بجهود هؤلاء في نشر التراث العربي والمغربي، منها:

– **الأعلام** للزركلي، وهو المعجم المختص بذكر أعلام العرب وأعلام المستشرقين مرتبة ترتيبا أبجديا.

---

[1] ينظر: تحقيق التراث، محمد القاسمي، ص: 280–281. تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، محمود المقداد، ص: 170–174.

[2] ينظر: عن التراث المتداخل اللغات بالغرب الإسلامي، محمد المدلاوي، مقال ضمن كتاب تحقيق التراث المغربي الأندلسي، منشورات كلية الآداب وجدة 1997، ص: 318.

- **الكشاف الإسلامي**، الذي صنفه الإنجليزي برسون، حيث خصص جزء هاما منه لإحصاء ما صدر من مقالات عن المستشرقين بين 1906 و1974. ولا شك "أن الضبط البيبليوغرافي الذي وضعه العالم برسون في الكشاف لمحتويات الدوريات الخاصة بالعالم الإسلامي لا يخلو من الإشارة إلى الدراسات المتعلقة بالمغرب"[1].
- كتاب **(المستشرقون)** لنجيب العقيقي، عرض فيه للمستشرقين منذ فجر الاستشراق إلى اليوم، فيترجم لهم، ويجلو أعمالهم، ويحدد زمان تلك الأعمال ومكانها، ويذكر أسماءها، ويشير إلى مطابعهم، وجمعياتهم وكراسي جامعاتهم، ومجالاتهم ومؤتمراتهم[2].

ج) النساخة:

أشار الباحث محمود مقداد[3] إلى أن المستشرقين الفرنسيين قاموا بأنشطة أخرى أيضا حول المخطوطات العربية وخدمتها، كنسخ مخطوطات معينة منها لأهميتها، أو لتعذر الحصول عليها مباشرة، وقد كانوا يكلفون بهذه لمهمة أحيانا بعض العرب من أمثال ميشيل صباغ المصري الذي ارتبط اسمه بمدرسة اللغات الشرقية بباريس منذ سنة 1810 إلى سنة وفاته 1816م بصفة (ناسخ المخطوطات العربية المستعارة من المكتبات الأخرى من خارج فرنسا). وحسبنا أن نذكر في هذا المقام شخصية المستشرق رينهارت دوزي الذي اهتم كثيرا بأدب الغرب الإسلامي تحقيقا ونشرا وفهرسة وترجمة؛ إذ استغل فرصة زيارته لأحد أهم المكتبات العلمية بألمانيا للاطلاع على ما تجود به هذه المكتبات من مخطوطات عربية نفيسة، وفي أثناء بحثه عثر صدفة على الجزء الثالث من ذخيرة ابن بسام الشنتريني، فقام بنسخه، ثم عرج على مكتبة أكسفورد بإنكلترا حيث عثر على المجلد الثاني من الذخيرة، فقام بنسخه هو الآخر، رفقة مجموعة من المخطوطات المتعلقة بتاريخ الأندلس والمغرب، قصد تحقيقها ونشرها لاحقا.

---

[1] مدخل إلى البيبليوغرافيا المغربية، أحمد شوقي بنبين، ص: 20.

[2] تحقيق التراث، محمد قاسمي، ص: 279.

[3] تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، ص: 72-73.

5) الخلاصة:

لقد حاولت هذه الدراسات كشف الجهود التي بذلها المستشرقون للتعريف بثقافة المغرب ونظمه السياسية، والاجتماعية، والدينية، وقد كان لهم فضل السبق في خدمة تراثنا النفيس، وإخراجه من براثين النسيان، فلولاهم لما وجدنا بين أيدينا كنوزا كذخيرة ابن بسام، ورحلة ابن بطوطة، ونزهة الإدريسي، والحلل الموشية لمجهول، والتشوف لابن الزيات...وغيرها من المخطوطات النفيسة الجديرة بالاهتمام؛ مما يفسر الجهود المضنية التي بذلها هؤلاء " المستشرقون في إحياء التراث المغربي ودفعه إلى النور، وهذا المعطى –بلا شك– شكل دعما كبيرا لنهضتنا الفكرية، وهذا فضل يسجل لهم، كما أن عملهم هذا يحمل جانبا إيجابيا تُعَد إثارته تحديا فكريا يدعونا إلى إعادة النظر في تراثنا، عن طريق التركيز على الجوانب التي أغفلها المستشرقون، والتي بدورها تفيدنا في نهضتنا المعاصرة لبناء مجتمع مغربي متقدم[1]، وقد يدعونا أيضا إلى إعادة النظر في فيما أنتجه هؤلاء على مستوى المنهج والموضوعية، ولعل ذلك سيشكل مدخلا لدراسة وإعادة تحقيق ما أنتجه هؤلاء المستشرقون، لأنهم كانوا محكومين بنوازع ذاتية وبأجندة استخباراتية استعمارية، وهذا راجع إلى الفترة الاستعمارية التي بذلت فيها هذه الجهود التي كانت تتوجه بالدرجة الأولى نحو خدمة هذه الأجندات –في أغلب الأحيان– بدل خدمة تراثنا، وهذا المعطى يفسره التهافت المنقطع النظير على كل ما له علاقة بحضارتنا وعلومنا وفلسفتنا وقيمنا.

لقد بذل المستشرقون جهودا جبارة في خدمة التراث المغربي في جوانب عدة شملت:

- جمع المخطوطات من المكتبات الخاصة والعامة، والتعريف بأماكن وجودها.
- ترجمتها ونقلها إلى اللغة الفرنسية والإسبانية والإنجليزية والألمانية؛
- صيانتها وفهرستها فهرسة علمية حتى يسهل الاطلاع عليها؛

[1] تحقيق التراث، محمد قاسمي، ص: 308.

- تحقيق الكثير من المخطوطات اعتمادا على منهج علمي دقيق، ثم تذييلها بالفهارس المختلفة للأعلام ، والموضوعات، والأماكن؛
- نشرها وطباعتها على مجال أوسع؛
- العمل على نسخ الكثير منها تبعا لأهميتها أو في حالة وجود نسخة يتيمة منها.
- أقاموا الجمعيات والمعاهد والمكتبات ونسقوا جهودهم للتداول في تراثنا الأدبي والعلمي.
- إنجاز مجموعة من الدراسات القيمة التي توجهت بالخصوص إلى كل ما له علاقة بالثقافة المغربية في جل موضوعاتها مع التركيز على الجانب التاريخي والصوفي واللغوي والجغرافي والأنتروبولوجي.

المصادر والمراجع

أولاً/ الكتب:

الدراسات الأدبية في المغرب، عبد الله كنون نموذجا (1991). منشورات مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، ط1، طنجة ن المغرب.

العقيقي، نجيب (1980). المستشرقون، ط الرابعة، دار المعارف، القاهرة، مصر.

المقداد، محمود (1992). تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، سلسلة عالم المعرفة، العدد 167.

بدوي، عبدالرحمن (1993). موسوعة المستشرقين، ط الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

بروفنصال (1941). مجموع رسائل موحدية من إنشاء الدولة المؤمنية، المطبعة الاقتصادية، الرباط، المغرب.

كتاب جماعي (1997). تحقيق التراث المغربي الأندلسي، حصيلة وآفاق، ط الأولى، مطبوعات كلية الآداب، وجدة، المغرب.

كتاب جماعي (2006). الأدب المغربي، إشكالات وتجليات، منشورات كلية الآداب، الرباط، المغرب.

مفتاح، محمد (2006). وجهات نظر حول الثقافة المغربية في القرن السابع عشر، مقال ضمن كتاب "الأدب المغربي إشكالات وتجليات"، منشورات كلية الآداب، الرباط، المغرب.

الدوريات:

بينبين، أحمد شوقي (د.ت). فهرسة المخطوطات العربية في المغرب، مجلة الفيصل، العدد 316.

خضر، ضياء (1990). مقدمة في دراسة جهود من العربية إلى الفرنسية، مجلة الاستشراق، العدد الرابع، دار الشئون الثقافية، بغداد، العراق.

عبيد، عبداللطيف (2004). الترجمة في الفكر النهضوي العربي، مجلة كلية الألسن للترجمة، العدد 5، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر.

علي، محمد كرد (1927). أثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد السابع.

لبوزاني، الحسن (1937). الحماية الفرنسية في المغرب، جريدة الوحدة المغربية غدد صدر بتاريخ (8-2-1937م).

ثالثاً/ المؤلفات الأجنبية:

Clifford Geertz (1968). Islam observed religious development in Morocco and Indonesia; The university of chicago press.

Clifford Geertz (1986). Savoir local savoir global les lieux du savoir traduit de l'anglais par denise paulme, P.U.F France.

The Contribution of Foreign Studies in Verification of the Moroccan Heritage

Abstract

This article aims at studying Orientalists efforts in the fields of translation, verification, cataloging and documentation. The Descriptive analytical method and comparative method were utilized to achieve the goals of this study. The study found that Orientalists were pioneers in authorship in the last centuries (15-19 AD), and they have published in Arabic and in other languages as well. In addition, the Orientalists have pioneered in promoting Morocco culture and its political, economic, religious and social systems. Thus, Orientalists' works have contributed to the establishment of a great scientific and cultural renaissance in all sciences.

Keywords: Moroccan heritage, Arab heritage, Foreign studies, Indexing and documentation.